المحاضرة 06 : الاستعمار الأوربي لأفريقيا : هل فعلا تأخر استعمار قارة افريقيا ؟

هناك عوامل تظافرت في تأخر التسابق الاستعماري في أفريقيا ولعل من أهمها :

تخوف الأوروبيين من أمراض المناطق الحارة خاصة حمى **الملاريا**، بحيث لم يكن لهم الصناعة الدوائية والطبيعية لهذا النوع من الأمراض مما أدخل في قلوبهم الرعب ،ولم تكن لهم مغامرات إلا بعد اكتشاف العقاقير والأدوية التي بدأت تستخدم بطريقة واسعة ابتداء من سنة 1857م .

كما توجهت انظارهم إلى مناطق أخرى من العالم تتوفر بها الإمكانيات الكبيرة وتقل بها المخاطر والأمراض، فبريطانيا مثلا فضلت الذهاب إلى استراليا ونيوزيلندة وكندا كمناطق بعيدة عنها عوض أن تصرف مبالغ طائلة وتكاليف كبيرة مادية وتقنية وحتى بشرية على أقطار أفريقية ...

انشغلت الدول الأروبية كذلك بمسائل داخلية وحتى أخرى في مناطق نفوذها فالمتتبع لتاريخ الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس (بريطانيا) يجدها أنه انشغلت بمشكل العصيان المدني في الهند وحرب الافيون في الصين ، وتوسعاتها في استراليا البعيدة ،وحرب السبع سنوات مع فرنسا في أمريكا الشمالية ...في المقابل انشغلت كل من المانيا وإيطاليا بوحدتهما القومية (1871 -1870 على التوالي) الي جاءت بعد عدة أحداث وحروب ، بينما انشغلت فرنسا بالمقاومات في احتلالها للجزائر ، كما كان لكثرة تحولاتها السياسية وثوراتها الداخلية وانهزامها مع بروسيا في الحرب السبعينية أثرا في ذلك ...

كانت بريطانيا هي الدولة الأوروبية الوحيدة المستقرة سياسيا والتي تطورت في شتى المجالات دون حوادث وانقلابات (حدثت بها الثورة البيضاء او الثورة الجليلة سنة 1688 وكانت سلمية)، وبالتالي كانت أكثر حظا في التسابق الاستعماري خاصة بوجود عوامل ساعدتها على ذلك : وجود المفكرين والعلماء في كل الميادين – تأسيس الجمعية الملكية الجغرافية – وجود المستكشفين والمغامرين – مهد الثورة الصناعية – تطور أجهزة وتقنيات الملاحة البحرية وصناعة السفن – **الثقافة الفيكتورية** - السياسة المالية التي اتبعتها بريطانيا وتفوق العملة (الجنيه الإسترليني) وتأسيس البورصة ، إضافة إلى استراتيجية بريطانيا العالمية ببحثها عن أسواق عالمية دون اللجوء للحماية الجمركية ...

كان الخطاب السياسي البريطاني ينادي بحرية الملاحة دون شرط أي عدم فرض التعريفات الجمركية حتى أنها عرفت باسم " **أمة التجار**" ولعل أبرز مثال نضربه في هذا الاطار جولة السفينة البريطانية بين مستعمراتها والتي تجول محملة بالبضائع والعبيد ما بين الصين والهند وأستراليا وجنوب افريقيا وصولا

لأمريكا قبل أن تعود إلى الأراضي البريطانية، وبالتالي فإن رغم تدخل رجال السياسة والدين في توجيه السياسة الاستعمارية إلا أن العوامل التجارية كانت في مقدمة الدوافع التوسعية.

ومن جهة أخرى لا تقدم بريطانيا على عمل استعماري توسعي إلا إذا كان في تجارة الرقيق (النخاسة) بحيث تسعى بريطانيا دائما لترويج هذه التجارة، وقد طورت من أساليب الشركات التجارية بحثا عن أسواق جديدة والمواد الخام بحيث تعتبر افريقيا من أغنى مناطق العالم والمواد الموجودة لازالت خاما. وبالموازاة لا يمكننا الاستغناء عن الجوانب الأخرى خاصة الدينية والاستراتيجية والنفسية فقد كان لنشر المسيحية خاصة المذهب البروتستانتي أثرا في تلك السياسة فقد قام بالمهمة مبشرون بالتعاون مع التجار. إضافة إلى الفترة التي عاشتها بريطانيا في حكم الملكة فيكتوريا التي حكمت طويلا (1837- 1901) وأثرت في توجيه الفكر التوسعي.

عملت بريطانيا في التوغل الاستعماري بالإضافة إلى المبشرين والتجار والمستكشفين إلى إغراء رؤساء القبائل بالهدايا، وتأييد بعض الحكام الافارقة عن طريق ابرام المعاهدات مثلما حدث مع سلطان زنجبار من خلال انشاء مراكز تجارية على طول الساحل الشرقي لأفريقيا حين قاموا بإغرائه بالذخيرة وتدريب جيشه ...

تعمدت بريطانيا التمركز في المواقع الاستراتيجية وتتبع الأنهار والممرات البحرية والنهرية، والمنطقة التي لا تستطيع الوصول إليها تربط اتفاقيات مع الدول الاستعمارية من أجل حرية الملاحة والتجارة، أو تعمل على تقاسم المناطق من خلال اتفاقيات سرية، بينما تسعى للانفراد بالمستعمرة أحيانا مثل تدخلها في مصر لاخماد ثورة أحمد عرابي سنة 1882م مدعية إرجاع الملك الخديوي إلى حكمه، وهي بذلك تهدف الى تأمين طريقها التجاري عبر قناة السويس ...

يمكن القول ان سياسة بريطانيا تباينت بين التعجيل في تنفيذ الأمر الاستعماري او الاجيل والتأخير حسب ظروفها الاقتصادية والسياسية، وتبعا للظروف الدولية.